

حديث في فضل العلم



فريق عمل الكتب الالكترونية
شبكة ومنتديات جامع الأئمة عليهم السلام الإسلامية

www.jam3aama.com





حَدِيثُ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ

السَّيِّدُ مَقْتَدَى الصِّدْرِ

إِصْدَارُ

مَكْتَبُ السَّيِّدِ الشَّهِيدِ

- ❖ حديث في فضل العلم
- ❖ السيد مقتدى الصدر
- ❖ الناشر : محبين ((للطباعة والنشر))
- ❖ الطبعة : الاولى / ١٤٢٩ هـ
- ❖ المطبعة : ياسين
- ❖ زينكفراف : مدين
- ❖ العدد : ٥٠٠٠
- ❖ رقم الإيداع الدولي : ١-٣٩-٨٩٩١-٩٦٤-٩٧٨

بين الحج والعمرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العلم

لعل أهم سلاح يمتلكه الإنسان بعد الإيمان بطبيعة الحال هو العلم، فلذا ونحن في خضم الصراع الغربي الإسلامي الثقافي نحتاج إلى سلاح نواجه به أعداء الله (ﷺ) وأعداء رسوله (ﷺ) وأعداء أهل بيته سلام الله عليهم أجمعين، بل وأعداء العلم الذين لطالما أخذوا على عاتقهم إسقاط الشعوب ببحبوحة جهل لا مخرج منها إلا بفضل الله ورحمته التي وسعت كل شيء..

وعلى الرغم من أنهم يريدون إطفاء نور العلم بل ونور الله جل جلاله، فهم أقرب للشرك والإلحاد دوماً،

إلا أنهم لم ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً، كما قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (١).

لذا فعلى الإنسان (المؤمن) الذي غلب هواه وجعل التقوى طريقه والورع نهجه... أن يسير بخطى حثيثة نحو الكمال العلمي بعد الكمالات الروحانية والإيمانية والأخلاقية، فقد ورد: (عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن أبي بكر بن صالح عن القاسم بن بريد، قال: حدثنا أبو عمرو الزبيري عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به، قلت: وما هو؟ قال: الإيمان بالله الذي لا اله إلا هو أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأსناها حظاً....) (٢).

ولعلنا لا ندعي زوراً أو كذباً حينما نقول إن العلم أحد أركان الإيمان ومن دعائمه المهمة التي يعتمد

١- سورة التوبة ٣٢

٢- بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٢٣.

حديث في فضل العلم.....٩

عليها، أو قل عدله، ومما يؤيد ذلك ما ورد: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن عبد الملك بن غالب عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقوراً عند الهزاهز، صبوراً عند البلاء، شكوراً عند الرخاء، قانعاً بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة. إن العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل أمير جنوده والرفق أخوه والبر والده^(١).

ومن الواضح والجلي عند الجميع إن الإيمان عمل، كما ورد في رواية عن أبي عبد الله (عليه السلام) حينما سُئل: (ألا تخبرني عن الإيمان أ قول هو وعمل أم قول بلا عمل؟ فقال (عليه السلام): الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل..... إلى آخر الرواية)^(٢) وحسب فهمي فإن هذا العمل يمكن أن نقسمه إلى قسمين:

١- بحار الأنوار ج ٦٤ ص ٢٦٨.

٢- بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٢٣.

الأول: العبادة بالمعنى الأخص، كالصلاة والصوم والتسبيح والتهجد وما إلى ذلك، بل قد يعم كل الأعمال الصالحة كالإحسان والصدق والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، فكما يعلم القارئ اللبيب، أن كل عمل يؤتى به قربة إلى الله تعالى ليس منهياً عنه ولا مبغوضاً عند الله تعالى، بل محبوباً عنده مطلوباً منه فهو قربوي عبادي من هذه الجهة مادام أتى بشرطه وشروطه بعيداً عن الرياء والسمعة وما إلى ذلك من آفات العبادات، فقد ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) حينما سئل: جعلت فداك ما العبادة؟ قال (عليه السلام): حسن النية بالطاعة من الوجوه التي يُطاع بها الله منها.....^(١) وما ذكرنا من أعمال وصفات يطاع بها الله منها، فافهم.

ويجدر بنا قبل الخوض بالقسم الثاني ذكر روايتين في فضل العبادة، حتى نكون قد أعطينا للعبادة حقها في هذا المختصر.

الرواية الأولى: (عن علي بن إبراهيم عن محمد بن

حديث في فضل العلم..... ١١

عيسى عن يونس عن عمرو بن جميع عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (ﷺ): أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبها بقلبه وبأشرفها بجسده وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر^(١).

أما الرواية الثانية: (عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن أبي جميلة قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): قال الله تبارك وتعالى: يا عبادي الصديقين تنعموا بعبادتي في الدنيا فإنكم تتنعمون بها في الآخرة)^(٢).

الثاني: العبادة بالمعنى الأعم، أو كما يعبر عنه (البر) ووجوه الإحسان، فيدخل بها كل عمل صالح سواء قصد بها القربى أم لم يقصد . غاية الأمر أن المكلف لم يقصد العكس-، والعلم داخل بهذا القسم، إلا أن أفضل العلم ما قصد به قربة لله سبحانه وتعالى - كما لا يخفى.

١- بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٢٥٣.

٢- بحار الأنوار ج ٨ ص ١٥٥.

ومما يجب الالتفات إليه أن العلم والإيمان قد
يجتمعان وقد يفترقان، فرب علم بلا إيمان ورب علم مع
إيمان، وهنا يناظر ما ورد: رب قارئ للقرآن والقرآن
يلعنه، إذ يمكن القول خصوصاً بعد التجرد عن
الخصوصية: رب عالم والإيمان يلعنه، وعليه فيكون
لدينا أربعة فروض: إيمان مع علم، وإيمان بلا علم، وعلم
بلا إيمان، ولا علم ولا إيمان، أفضلها أولها وأسوؤها
آخرها.

وفي ضوء ما أوردنا وبعد كل ما قلنا يثبت أن
العلم عدل الإيمان، فلا خير في إيمان بلا علم، فعلينا أن
(نطلب العلم) ونثبت وجوبه أو محبوبيته، لكن قبل
الخوض بذلك يجدر بنا أن نتقدم خطوة إلى الأمام، من
خلال إثبات أفضلية العلم على العبادة، وإن الإيمان بالعلم
لا بالعبادة فقط، وأن أفضل المؤمنين أعلمهم.

وذلك بالاستناد إلى ما ورد من أن: (عالم ينتفع
بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد)^(١)، وما أفهمه من

حديث في فضل العلم.....١٣

الرواية أن العالم الناطق أفضل من العابد الساكت، خصوصاً بعد أن نلتفت إلى قيد: (ينتفع بعلمه)، إذ هو حيثية تعليلية لتفضيل العلم على العبادة، فلو انتفع بعبادته لكان قريناً للعالم. ويمكن توضيح ذلك بصورة أخرى، فنقول: إن العلم إيمان والعبادة إيمان، وفي الرواية نصّ على أن الإيمان الذي ينتفع به الآخرون أفضل من الإيمان الذي لا ينفع الآخرين... وهذا واضح لا مزيد عليه.

طلب العلم

ليس المراد من هذه الفقرة إثبات فضل العلم، فهذا ما قد ثبت في ما سبق من البحث، وتبين إن العلم والإيمان مطلوبان ولا يراد افتراقهما، غاية الأمر إن العلم مقدم على الإيمان أم أن الإيمان مقدم على العلم؟ وقد تحسّل مما سبق لا بديّة اجتماعهما، وعليه سوف ينعكس الانفصال بينهم على درجات الكمال حتى الوصول إلى درجات التسافل في بعض الأحيان -لا سمح الله- وخاصة في مثل المرتبة الأخيرة وهي اجتماع الجهل وعدم الإيمان أو أشد من ذلك.

بل المراد إثباته هنا هو مقدار محبوبية العلم. فإن زادت فإنه قد يكون واجباً وإن قلّت فقد يكون مستحباً،

في ضوء ذلك يمكن طرح السؤال الآتي: هل أن

حديث في فضل العلم.....١٥

العلم مطلوب لنفسه أم لغيره؟ فهذا ما سنبتدئ الحديث به ومن ثم نخوض بأمور متعلقة بطلب العلم.

- أما مطلوبية العلم، فأقول للتقريب والتمثيل: إن مطلوبية العلم كمطلوبية الضوء، فإنه مطلوب لإقامة الفرائض تارة، وأخرى لذاته حتى ورد: (الوضوء على الضوء نور على نور)^(١).

ومما سمعته عن بعض أهل العلم والأخلاق، إن فضل الضوء أخلاقياً أكثر من فضل بعض العبادات الأخرى وإن كان مقدمة لها... ومما لا يخفى على القارئ العزيز، إن الوضوء فقهياً مطلوب في حد ذاته، وليس فقط يكون رافعاً للحدث أو مقدمة للعبادات.

فكنا العلم فهو تارة يكون مقدمة لأمر ضرورية كالتفقه في الدين وتعلم بعض العلوم الأخرى كالطب أو غيرها من العلوم التي قد يستفاد منها الشخص في حياته اليومية، لكن قد يكون مطلوباً في نفسه وهو الغالب، ويمكننا القول أيضاً: العلم على العلم نور على

١- وسائل الشيعة ج ١ ص ٢٦٥.

نور، فكما قال تعالى في محكم كتابه العزيز: {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}، وحتى في حال كونه مقدمة فهو المقدم.

ولا يخفى أن العلم هو المعرفة بالأشياء والإحاطة بها أما إجمالاً فهو العلم الإجمالي سواء كان المراد بالإجمال البساطة أو الإبهام وإما تفصيلاً فهو العلم التفصيلي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ما يقابل العلم هو الجهل، وبما أن العلم مطلوب فيكون الجهل غير مطلوب بل منهي عنه، وإذا أردنا الخوض في غمار الروايات التي وردت في محبوبية العلم ومطلوبيته فهي واردة بلسانين:

الأول: ما ورد بلسان العقل والجهل، وهي كثيرة نذكر منها إثنين:

الأولى: عن أحمد بن إدريس عن محمد بن حسان عن أبي محمد الرازي عن سيف بن عمير عن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): من كان عاقلاً كان

حديث في فضل العلم.....١٧

له دين ومن كان له دين دخل الجنة^(١).

الثانية: ما ورد: (أن الله خلق العقل فقال له: اقبل فاقبل، وقال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت شيئاً أحسن منك أو أحب إلي منك بك آخذ وبك أعطي^(٢)).

الثاني: ما ورد بلسان العلم، وهو على أبواب وأقسام، ولتوخي الاختصار نذكر منها روايتين فقط:

الأولى: قال أبو عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (ﷺ): ((طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا وإن الله يحب بغاة العلم))^(٣). وبغاة العلم هم طالبيوه، وهو نصّ بمحبوبة طلب العلم.

الثانية: عن علي بن محمد وغيره عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى عن أحمد بن محمد ابن عيسى جميعاً عن ابن محبوب عن هشام بن سالم عن أبي حمزة عن

١- بحار الأنوار ج ١ ص ٩١.

٢- بحار الأنوار ج ١ ص ٩٢.

٣- اصول الكافي ج ١ ص ٣٠.

أبي إسحاق السبيعي عمن حدثه قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: ((أيها الناس اعلّموا إن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسَيَفِي لكم والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه))^(١). وهذه الرواية نصّ على أن الدين يَكْمُل بالعلم، وإلا فهو غير كامل، كما هو واضح، إلا أن فيها أفعال التفضيل: (أوجب) وهو متعدّ ب (من) أي إن طلب العلم أكثر وجوباً من طلب المال، إلا أن المال لا يطلب بذاته أكيداً، والعلم يطلب بذاته أكيداً، وكما قال سيد الأوصياء: العلم حاكم والمال محكوم عليه.^(٢)

استناداً لذلك يمكن القول إننا أثبتنا محبوبية العلم ومطلوبيته لنفسه تارة ولغيره أخرى، لكن بقي علينا النقاش في مقدار محبوبيته وهل هو واجب أم أقل من

١- بحار الأنوار ج ١ ص ١٧٥.

٢- بحار الأنوار ج ٧٥١ ص ٧٦.

حديث في فضل العلم.....١٩

ذلك؟ والمفروض أن الفرق واضح بين الوجوب وغيره في درجات المطلوبية الشرعية، إلا أننا يمكننا أن نفصل ذلك فنقول: إن كلّ فعل محبوب من قبل الشارع المقدس فهو مطلوب إلا أن هذا الطلب على درجات ومستويات، فإن كان مطلوباً فعّله غير جائز تركه، لكثرة محبوبيته وازدياد مبعوضية تركه، فهو: (الواجب) وحكمه الوجوب، وأما إذا كان محبوباً مع إمكان تركه لتناقص محبوبيته أو لقلّة مبعوضية تركه فيكون (المستحب) وحكمه الاستحباب.

فإن ازدياد الطلب والإرادة الإلهية لفعل الشيء هي المؤثر الأول والأهم في وجوب الفعل وعدمه، فهل (طلب العلم) محبوب ومطلوب ومراد من الله بحيث لا يمكن تركه فيكون: (واجباً) أو يمكن تركه فيكون: (مستحباً)؟ وهذا التفصيل في وجوبه أو استحبابه بنفسه، لا كونه مقدمة لغيره، فإن المقدمة تتبع ذا المقدمة فإذا كان مقدمة لواجب يكون واجباً وإن كان مقدمة لمستحب كان مستحباً، وقد يكون مقدمة

لحرام فيحرم.

يمكن الإجابة عن هذا السؤال بالصيغة التالية: إن هناك جامعاً بين الوجوب والمستحب، ألا وهو (المطلوبية) فالواجب مطلوب والاستحباب مطلوب أيضاً من الشارع المقدس، وفي حال شككنا في هذه المطلوبية أهى على نحو الوجوب أم الاستحباب ؟ بغض النظر عن الأدلة المحرزة يمكننا أن نقول: إن حق الطاعة أو قل حق طاعة الشارع ينتج عدم جواز ترك الطلب، فإن من حق الشارع علينا طاعته، وإذا ترك المكلف طلب العلم فقد أخلّ بهذا الحق وهو طاعة الشارع، أما إذا قام المكلف بطلب العلم فقد أطاع الشارع وأتى بحق الشارع عليه وهو طاعته.

لكن بالرجوع إلى الروايات، نجد أن مفادها الوجوب، فقد ورد في بعضها كلمة: (فريضة) وهي تعني الوجوب بطبيعة الحال. لكن الروايات ساكتة عن كمية العلم -لو صح التعبير- فكل ما ينطبق عليه علم (عرفاً) يمكن القول بأنه مجز، إلا أن التكامل بالعلوم

حديث في فضل العلم.....٢١
والتعلم أمر راجح ومطلوب أيضاً، لكن لا قائل بوجوبه،
غاية الأمر أنه مستحب.

فإن قيل: إن ما ورد في الروايات من دخول الجنة
للعالم كما في الرواية الأولى وإن الله يحب بغاة العلم
كما في الحديث وكذا كمال الدين بطلب العلم، إنما
هي أمور ترغيبية وتكميلية لا يستفاد منها الوجوب.

قلنا: إن هذا الإشكال مدفوع من عدة وجوه:
الوجه الأول: ما ورد في أكثر من رواية، إن طلب
العلم فريضة، وهو معنى الوجوب.

الوجه الثاني: لو سلمنا أن بعض الأمور ترد
لترغيب بالعمل لا للوجوب، فما ذكر ليس منها، بل هو
للدلالة على الوجوب، فدخل الجنة أو مقدماته واجب
علينا، كما قال تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ
وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ
آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (١).

مع إن الدخول إلى الجنة جاء في الآية على نحو الترغيب وأن عرضها كعرض السماء والأرض ، لكن المطلوب هو الوجوب كما لا يخفى .

الوجه الثالث: يمكن أن يكون هذا الإشكال صحيحاً لو لم تكن هناك روايات ناهية عن ترك العلم وذم الجهل، كما ورد في الحديث: لا فقر أشد من الجهل^(١)، أو ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): إن قلوب الجهّال تستفزها الأطماع وترتتها المنى وتستعلقها الخداع^(٢).

فإن علمنا أن طلب العلم محبوب مرغوب مطلوب من الله جل وعلا، وأن الجهل الذي هو نتيجة طبيعية لترك العلم منهي عنه مذموم منبوذ من اتصف به، بل من كان الجهل سلاحه لا يكون محصناً من الآثام ، ينتج عندنا أن (طلب العلم) واجب حتى وإن لم يصرح به، فبطريق أولى لو نصّ على ذلك. فافهم وتدبر.

١- بحار الأنوار ج ١ ص ٨٨.

٢- بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٥٨.

أقسام العلم

لا يجدر بنا المرور على العلم بهذه البساطة الخالية من التقسيم والتدريج والتفصيل، فإنه وإن كان بسيط التعريف، إلا إنه ذو تشعب كثير، ولنا فهو مشتمل على تفاصيل كثيرة وجليلة، لكن الذي يهمنا هنا بالتحديد هو التعرض لبعض أقسامه الرئيسية، ويمكننا تقسيمه إلى قسمين:

الأول: العلم اللدني، وهو منصوص عليه في القرآن الكريم، قال تعالى: { فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا }^(١)، و[من لدنّا] هنا تعني المباشرة بين العبد وربّه، كما في الآية الأخرى التي وردت فيها كلمة (لدنّا)، وهي: {كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا}.

مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا . خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا^(١) وخصوصاً أن كلمة (ذكر) قد وردت بعدها، وأن المراد من (الذكر) القرآن، بقرينة ما بعده، أي: من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً. وإيتاء الذكر وتنزيله على روح الأمين محمد (ﷺ) كان بالمباشرة بينه وبين ربه (ﷻ).

وهذا العلم اللدني من مختصات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين غاية الأمر يمكن أن نقول بأنه ممكن لمن كان متصفاً بالعصمة الثانوية، أو قل العصمة المكتسبة.

هذا، ومن الأجدر بنا الإشارة إلى آية أخرى، وهي: { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا }^(٢)، وما استنتجه من هذه الآية: إن الأنبياء والأولياء، أو قل المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) لا يطلبون العلم إلا من الله، فلا يمكن للأفضل أن يأخذ علمه من الأدنى بطبيعة الحال، ولذا

١- طه ٩٩.

٢- طه ١١٤.

حديث في فضل العلم.....٢٥

يجب أن يكون علمهم لدنياً، غير مكتسب من شخص معين، إلا من هو أعلى منهم أو مساوٍ لهم، وهذا لا يكون إلا فيما بينهم (سلام الله عليهم).

فآية الكريمة تأمر النبي (ص) أن يستزيد العلم ويطلبه من ربه فقط لا من أجد آخر.

الثاني: العلم المكتسب، وهو علم الناس أجمعين،
ما دون المعصوم، يكسبه الإنسان عن طريق التعلم والتناكر، وكما ورد في الحديث عن رسول الله (ﷺ) وسلم حيث قال: إن الله عز وجل يقول: تناكر العلم بين عبادي مما يحيي القلوب الميتة إذا هم انتهوا فيه إلى أمري^(١) وورد عن أبي جعفر (عليه السلام): (تناكر العلم دراسة والدراسة صلاة حسنة)^(٢).

ولا سبيل إلى العلم إلا عن طريق التعلم، فإن فاقده الشيء لا يعطيه، وعليه فمن أراد أن يعطي علماً عليه بالتعلم أولاً، وإلا فإن إعطاء العلم من دون تعلم منهي

١- بحار الأنوار ج ١٤ ص ٣٠٥.

٢- بحار الأنوار ج ١ ص ٢٠٦.

عنه، كما ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام): (إياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك: إياك أن تفتي برأيك أو تدين بما لا تعلم)^(١)، أو ما ورد عنه (عليه السلام): (أنهاك أن تدين الله بالباطل وتفتي الناس بما لا تعلم)^(٢).

بل يمكننا أن نخطوا خطوة أخرى ونقول لا عمل بغير علم، فإن كل عمل بغير علم فهو كلاً عمل، وبتعبير آخر: لا يقبل العمل إلا بالعلم، أو قل: إن العلم مقدمة لصحة العمل بصورة أو بأخرى، كما ورد: عن أبي عبد الله (عليه السلام): قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من عمل من غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح^(٣)، أو كما ورد عنه (عليه السلام): العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلا بعناً^(٤).

ومما يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع التعلم، أو بتعبير أدق:

١- بحار الأنوار ج ٢ ص ١١٤.

٢- بحار الأنوار ج ٢ ص ١١٤.

٣- بحار الأنوار ج ١ ص ٢٠٨.

٤- بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٢٤٤.

حديث في فضل العلم.....٢٧

ما يأتي بعد التعلم والتدارس والتباحث، إعطاء العلم وتعليمه وبذله إلى الآخرين، وهو منصوص على استحبابه في الكثير من الروايات، منها:

أولاً: ما ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قرأت في كتاب علي (عليه السلام): أن الله لم يأخذ على الجاهل عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجاهل، لأن العلم كان قبل الجهل^(١).

ثانياً: ما ورد عن أبي جعفر (عليه السلام): زكاة العلم أن تعلمه عباد الله^(٢).

وهاتان الروايتان ونظائرها مقيدتان بما سبق من روايات النهي عن القول بغير علم أو إعطاء العلم بلا تعلم - كما لا يخفى على كل من تفكر -

نعم، يبقى ما هو أهم من ذلك، فبئس العالم الذي يعجز غيره وهو لا يتعص، فعلى العالم أن يعمل بعلمه قبل أن يعلمه للآخرين، وإلا كان كمن تعلم القرآن وعلمه،

١- بحار الأنوار ج ٢ ص ٦٧.

٢- بحار الأنوار ج ١ ص ٤١.

ولم يهتدِ بنوره ويقتدِ!

فقد ورد عن علي بن الحسين (عليه السلام): (إن العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبه إلا كفرًا، ولم يزد من الله إلا بعدًا)^(١). وما عن أبي عبد الله (عليه السلام): (إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا)^(٢).

ويشترط في التعلّم والتعليم، أن يكون العلم علم هداية لا ضلالة، أو علم حق لا باطل، وإلا كان علمه هباءً منثورًا، كما ورد عن أبي جعفر (عليه السلام): (من علّم باب هدى فله أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئًا، ومن علّم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئًا)^(٣). أو كما قيل: تعلّم لله وعمل لله وعلم لله، فهذا هو أفضل الثواب وأكمله.

١- اصول الكافي ج ١ ص ٤٤.

٢- بحار الأنوار ج ٢ ص ٣٩.

٣- بحار الأنوار ج ٢ ص ١٩.

العالم

تتكفل هذه الفقرة الكلام في جهتين :
نفس العالم و ما يجب أن يتصف به وما علاقة
الآخرين به؟

• صفات العالم

أما صفات العالم فكثيرة، إلا أننا نورد إليكم
بعضاً منها:

الأول: ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا يكون
السفه والغرة في قلب العالم)،^(١) وما ورد عن أبي عبد
الله (عليه السلام): (اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار
وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم

٣٠.....مقتدى الصدر

ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم^(١).
وعنه (عليه السلام): الورع شيمة الفقيه،^(٢) وما ورد عنهم (عليه السلام): لا
يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله عز
وجل، وحتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة^(٣).

فهذه مجموعة من صفات العالم الذي يبذل علمه
للآخرين، فهو عالم متعلم متعض بعلمه معلم لغيره،
فتوابه الجنة، كما عن رسول الله (ﷺ)، حينما قال:
من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى
الجنة.... إلى أن يقول: وفضل العالم على العابد كفضل
القمر على سائر النجوم ليلة البدر.... إلى آخر
الحديث^(٤).

• علاقة الآخرين بالعالم

وأما ما يجب أن يتحلّى الآخرون به مع العالم، أو

١- بحار الأنوار ج ٢ ص ٤١.

٢- غرر الحكم، رقم ٩٩٥.

٣- كنز العمال، حديث ٢٨٩٥٠.

٤- بحار الانوار ج ١ ص ١٦٤.

حديث في فضل العلم..... ٣١
بتعبير آخر: حقّ العالم، فهو: ما يقرره الحديث الوارد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال ولا تأخذ بثوبه وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم جميعاً وخصّه بالتحية دونهم واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه ولا تغمز بعينيك ولا تشر بيدك ولا تكثر من القول: قال فلان وقال فلان. خلافا لقوله ولا تضجر بطول صحبته فإنما مثل العالم مثل نخلة تنتظرها حتى تسقط عليك منها شيء والعالم أعظم من الصائم القائم الغازي في سبيل الله).^(١)

هذا بعض مما يجب أن يتحلّى به المكلف ويتصف به أمام العلماء العاملين، فحقهم علينا كبير، وأقل ما نعلم لهم هو احترامهم وتعظيمهم والابتعاد عن أذيتهم بل لا بد من الاقتراب منهم ومن طاعتهم والولاء لهم حق الولاء.

وهناك الكثير من الروايات التي تزيد العلماء فضلاً وكرامة منها:

أولاً: ما ورد بلسان (فقد العالم) وأن فقدته من المصائب لو صحّ التعبير - . فإنه ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) ان الله عز وجل لا يقبض العلم بعدما يهبطه ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم فتليهم الجفأة فيضلون ويضلون ولا خير في شيء ليس فيه أصل^(١) . وكذا ما ورد عن أبي جعفر (عليه السلام)، حينما قال: كان علي بن الحسين (عليه السلام) يقول: انه يسخي نفسي في سرعة الموت والقتل فينا قول الله: (أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) وهو ذهاب العلماء^(٢) .

ثانياً: ما ورد بلسان مجالسة العلماء، وهو لا محالة فيه نحو تعظيم لهم، منه ما ورد عن موسى بن جعفر (عليه السلام): قال: محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي^(٣)، ومنها ما رواه أبي عبد الله (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حيث قال: مجالسة أهل

١- اصول الكافي ج ٢ ص ٣٨ .

٢- اصول الكافي ج ١ ص ٣٨ .

٣- اصول الكافي ج ١ ص ٣٩ .

حديث في فضل العلم..... ٣٣.

الدين شرف الدنيا والآخرة^(١).

وهذه الروايات وان وردت في استحباب مجالستهم،
إلا انه لولا فضلهم لا يمكن القول باستحباب مجالستهم
- بطبيعة الحال، فمجالسة أهل الباطل مبغوضة عند الله
أكيداً، وهو مما لا نقاش فيه.

منزلة الفقه

تعددت العلوم بتعدد أغراضها، كالطب والفلك والهندسة والأصول والفقه والنحو والعقائد والفلسفة والرياضيات والاقتصاد والباريسكولوجي والعلوم الحديثة الأخرى التي لا نريد إحصائها في هذا المختصر بل لا يمكننا إحصاؤها البتة. حتى ورد: أن العلم أكثر من أن يحصى.... لكن لكل منها درجة فضل وحسن، ألا أنه يبقى أن من أشرف العلوم وأعظمها هو: (الفقه) وأشرف العلماء هم علماء (الفقه)، بل وإن التفقه بالدين واجب، فقد قال تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}.. وهناك أحاديث وروايات عديدة في التأكيد على التفقه في الدين، منها:

حديث في فضل العلم.....٣٥

١- عن رسول الله (ﷺ)، أنه قال: أفضل العبادة الفقه، وقال: ما عبد الله بشيء أفضل من الفقه في الدين^(١).

٢- عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): من تفقه في الدين كثر، وفي وصية لابنه الحسين (سلام الله عليهما): (...وتفقه في الدين)^(٢).

إلا انه قد يقال: من أين لك بالدليل على أشرفية الفقه على غيره من العلوم؟ أقول: لنا على ذلك عدة أدلة منها:

الدليل الأول: التأكيد على التفقه في الروايات، كما ذكرنا قبل قليل، وقد أوردنا أحاديث وروايات، مضافاً إلى ما قد ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام): تفقّهوا في الدين فإن الفقه مفتاح البصيرة^(٣).

الدليل الثاني: ما ورد في مدح (الفقه)، فعن رسول

١- وسائل الشيعة ج ٢٠ ص ٣٥٨ .

٢- من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٣٨٧ .

٣- تحف العقول ص ٤١٠ .

اللّٰهُ (ﷻ)، قال: خير العبادة الفقه، وعنه أيضاً: قليل
الفقه خير من كثير العبادة.

ومن مجموع هذين الدليلين يمكن استخلاص
أشرفية الفقه على باقي العلوم، ولا خير في علم بلا
تفقه، خصوصاً بعد أن نعلم أن تعريف الفقه لغة: هو
الفهم، والفقه بالاصطلاح الخاص، هو: العلم بالإحكام
الشرعية من أدلتها التفصيلية. فيكون المطلوب هو
التفقه بكل معارف الدين التي تضع الانسان المؤمن على
الصراط المستقيم وتسلك به السبيل القويم ، لأن الآية
الكريمة قالت: ((ليتفقهوا في الدين)) والدين ليس هو
الحلال والحرام فقط كما لا يخفى.

إلا أن بعض العلماء فسّروا الفقه الوارد في القرآن
والسنة سواء في ما أوردناه أم لم نورد في هذا
المختصر، فسّروه بـ (علوم الآخرة) أو يمكن القول:
بعلم الأخلاق والباطن والكمال في درجات الآخرة^(١)،

١- في هذه المجال قال الغزالي والكاشاني إن الفقه بمعنى العلم
بالحلال والحرام هو معنى مستحدث وقد كان للفقه في=

حديث في فضل العلم.....٣٧

وهو كأطروحة لا مانع منها على الإطلاق. إلا أن الدخول في مثل هذا الأمر صعب جداً، ألم تسمع قولهم (عليهم السلام): (أمرنا صعب مستصعب) ولذا يخاف على الكثيرين من الزلل والخلط والتكبر والعظمة والرياء وكشف الأسرار وغيرها من آفات الباطن، حتى أنهم يكونون في حجب ظلمة أو نور لا مخرج منها، مع شديد الأسف.

ولا يمكننا في هذا المختصر الدخول في تفاصيل هذا الحديث وآلامه وشجونه وما يتعلق به، وخصوصاً أن كل ما قد يقال فهو من الأسرار التي لا يمكن التدخل بها من قبلنا نحن المذنبون... فلها العلم أربابه وأسياده وأبوابه التي يدخل منها، لمن يستحقها فقط.

=صدر الإسلام معنى آخر وهو علم الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب .
المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء ، الفيض الكاشاني ج ١
ص ٨١.

ولا بأس بأن نعود إلى الآية السابقة أعني: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} لنوضح بعض المفردات والمعاني . لكي لا نكون قد مررنا عليها مروراً سريعاً وبلا تدقيق.

فأقول: في هذه الآية عدة جهات حري بنا شرحها:
الجهة الأولى: قوله: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ}، وهنا يقول المفسرون بل والفقهاء ويستنبطون أن وجوب طلب العلم كفائي، حيث أن المحققين يقسمون الوجوب إلى قسمين:

الأول: الواجب الكفائي: هو الواجب الذي إذا قام به المكلف سقط عن الباقي، كتكفين الموتى وإنقاذ الغرقى وغيرها... وكذا ما نحن بصدد، وهو طلب العلم، فإنه واجب كفائي إذا قام به شخص سقط عن الآخرين.

حديث في فضل العلم..... ٣٩

الثاني: الواجب العيني، وهو عكس الأول، أي لا يسقط الواجب عن الآخرين في حال القيام به كالصلاة والصوم وسائر العبادات الشخصية.

لكن ما ينبغي ذكره هنا، هو أن الوجوب الكفائي هو طلب زيادة العلم، بحيث يكون معه الإنسان مبلغاً ومنذراً، وهو لا يحصل إلا بدرجة معتد بها من العلم. وإلا فإن تعلم العلوم الضرورية المتعلقة بالأمور الحياتية والعبادات وغيرها ليست كفائية، وإلا تسقطت الروايات القائلة بالوجوب.

مضافاً إلى أننا يجب أن نلتفت إلى أن الآية عامة والروايات مخصصة لها، منها: طلب العلم واجب على كل مؤمن... وقيل ومؤمنة!. فتأمل.

وما يؤيد ذلك، أن وجوب العلم على البعض دون البعض الآخر يقتضي عدم وجوب إنذارهم بل غاية الأمر أن الوجوب الكفائي هو لإعطاء العلم وليس لأخذه، ولذا قال تعالى: لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم يحنزون، واللام هنا بمعنى (لأجل) فيكون المعنى: إنهم ينفضون

للتفقه لأجل أن ينذروا قومهم.

الجهة الثانية: إن علة النفر هي: أولاً: التفقه في الدين. ثانياً: إنذار الآخرين... وهي حسب الظاهر متسلسلة أي لا يمكن تقدم الثانية وهي الإنذار على الأولى، فتكون الواو هنا بمعنى (ثم) أي ليتفقهوا في الدين ثم لينذروا قومهم إذا رجعوا....

الجهة الثالثة: إن الذهاب أو (النفر) لأحد سببين أو قصدين: الأول: قصد الرجوع لإنذار القوم، الثاني: عدم الرجوع والبقاء في المكان الذي طلب فيه العلم. للتكامل العلمي أو لأسباب أخرى أو لعدم إرادة الرجوع للإنذار والتبليغ، وهذا أيضاً يدل على إمكان الفرق بين التفقه والإنذار وإن الواجب بالوجوب الكفائي هو الإنذار لا نفس التفقه.... وهذا التقسيم مستوحى من قوله: (إذا رجعوا) ففيه إمكان عدم الرجوع الاختياري والاضطراري والإجباري وما إلى ذلك من تعابير.

ومما دأب عليه بعض المؤلفين والمحققين تقسيم الناس من حيث العلم، إلى عدة أقسام، إلا أن الرئيسي

حديث في فضل العلم..... ٤١

منها: قسمان: عالم وجاهل، كما قال تعالى في محكم كتابه العزيز: {أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ}، وهم يوردون في هذا الباب الكثير من الروايات في مدح العلم، ونحن قد أوردنا منها آنفاً، وسنورد لكم بعض مما يذكره باختصار: (رأس الفضائل العلم)^(١) و (العلم مصباح العقل)^(٢) و (العلم أفضل هداية)^(٣) و (العلم قائد الحلم)^(٤) و (العلم حجاب من الآفات)^(٥) و (لا كنز أنفع من العلم)^(٦) و (لا شرف كالعلم)^(٧)، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يوردون الأحاديث والروايات في ذم الجاهل

-
- ١- عيون الحكم والمواعظ ، للواسطي ص ٢٦٤ .
 - ٢- عيون الحكم والمواعظ ، للواسطي ص ٥٠ .
 - ٣- عيون الحكم والمواعظ ، للواسطي ص ٣٥ .
 - ٤- عيون الحكم والمواعظ ، للواسطي ص ٣٥ .
 - ٥- عيون الحكم والمواعظ ، للواسطي ص ٣٥ .
 - ٦- عيون الحكم والمواعظ ، للواسطي ص ٣٥ .
 - ٧- عيون الحكم والمواعظ ، للواسطي ص ٣٥ .

٤٢.....مقتدى الصدر

والمحروم من العلم، منها: (إذا أرذل الله عبداً حُظر عليه العلم)^(١) و (ما استرذل الله تعالى عبداً إلا حُرِم العلم)^(٢).
ويمكننا هنا أن نقسّم العالم الذي يعطي علمه إلى قسمين أيضاً، كما نوّهنا إليه سابقاً في طيّات هذا المختصر، وهما عالم لله وعالم للدنيا، وكما ورد عن رسول الله (ﷺ): (من أخذ العلم من أهله وعمل به نجا، ومن أراد به الدنيا فهي حظه)^(٣)، أو ما ورد عنه أيضاً: من ابتغى العلم ليخدع به الناس لم يجد ربح الجنة)^(٤).

١- نهج البلاغة ج ٤ ص ٦٩.

٢- كنز العمال ، حديث ٢٨٨٠٧.

٣- اصول الكافي ج ١ ص ٤٦.

٤- مكارم الاخلاق ص ٤٦٠.

مدينة العلم

وهو المعنى الذي نصّ عليه الحديث المتواتر عن رسول الله (ﷺ): ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)) لذا ينحصر العلم بهم صلوات الله عليهم أجمعين... فمن أراد العلم فليركب (سفينة النجاة) وإن أراد الفرق فليتخل عنها، فهم سفينة النجاة من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.

بل وإن من لم يدخل من بابها فهو خارج عن مدينة العلم ولا ينتمي لها ولا يمت إليها بصلة، ألم تسمع قوله تعالى: {وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، فيمكن القول على غرارها: أدخلوا المدن من أبوابها، أو قل أدخلوا مدينة العلم من بابها. وخصوصاً بعد الالتفات إلى أن هذه المدينة ذات باب واحد لا غير. فهو الطريق والسبيل الأول والآخر لا محالة.

فسلام على مدينة العلم وعلى بابها، وسلام على
علومهم وعلى أولهم وعلى آخرهم سلاماً دائماً لا ينقطع.
وختاماً لهذا الحديث المختصر عن فضل العلم
أوصي إخواني المؤمنين وأقول لهم: إياكم والعلوم التي
تؤدي إلى الضلال، فإنه قد ورد: (كل علم لا يؤيده عقل
مضلة)^(١) وكنا: ((ربّ علم أدى إلى مضلتك))^(٢)...
فحاذروا فإن بين الحق والباطل مقدار شعرة.

.....

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ربّي زدني علماً
وفهماً وألحقني بالصالحين.

١- غرر الحكم، ٦٨٦٩.

٢- غرر الحكم، ٦٨٦٩.

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. المحجة البيضاء.
٣. أصول الكافي.
٤. ميزان الحكمة.
٥. وسائل الشيعة.
٦. أصول الفقه .
- ٧- غرر الحكم .
- ٨- بحار الأنوار.

.....

الفهرس

٧	العلم
١٤	طلب العلم.....
٢٣	أقسام العلم.....
٢٩	العالم
٣٤	منزلة الفقه.....
٤٣	مدينة العلم.....
٤٥	المصادر.....
٤٧	الفهرس